

ردّ التهم ودفع الشبه

المؤلف: البطريرك إسطفان الدويهي

المرجع: الجميل، الخوري ناصر، البطريرك إسطفان الدويهي: حياته ومؤلفاته، بيروت، 1991، ص 51-56

يأخذ الكتاب الثاني في محتواه الشامل طابعاً دفاعياً. وهو موجّه إلى كلّ الذين ينكرون على الموارنة ماضيهم "الأورثوذكسي"، وهذا ما عبّر عنه في العنوان "ردّ التهم ودفع الشبه". ولكنّ هذا الجزء يعتبر غنيّاً جداً بالقصص التاريخية والملاحظات البيوغرافية والأدبية، وأهمّها ما يتعلّق بالأمور التاريخية؛ وما تبقى من الكتاب لا يستحقّ نقداً هاماً. تشكّل الفصول الخمسة الأولى، من الفصول التسعة عشر، ردّاً على سعيد ابن البطريرك الذي يعتبر حتى في الفصول الأخرى بأنّه مصدر الأضاليل والشكوك الدائمة.

ولكي يقلّل من أهميّة توما أسقف كفرطاب الذي يعتبر شاهداً ضدّ الموارنة، حاول إسطفان الدويهي اعتباره يعقوبياً من ماردين وكمزيف "الكتاب الهدى"، الفصل السادس، ويلي ذلك جدل دفاعي ضدّ الخصوم الغربيين الآتية أسماؤهم:

أ - غليوم الصوريّ Guillaume de Tyr الفصل السابع

ب - الفرنسيّ فيلامون Villamont الذي ذكر في الجزء الثاني من "رحلته إلى الأراضي المقدسة" بأنّ اتّحاد الموارنة مع الكنيسة الكاثوليكية، حصل بعد المجمع اللاتراني، العام 1215. ثمّ وقع الموارنة مجدداً في الهرطقة، ولكنّهم عادوا بعد ذلك إلى الكنيسة الكاثوليكية أيام البطريرك جرجس عميرة سنة 1633 (الفصل 8، 10، 18). كما جاء على لسان فرنسيسكو بالاريني Francesco BALLARINI والكرملي ماتياس (الفصل الثامن)

ت - أرندوس ألبرتيني Arnaldus ALBERTINI له الآراء ذاتها عن الموارنة. ويقول بأنّه حُكم عليهم في مجمع القسطنطينية (1414-1418) وكان يعترف بهم حتى في أيامهم أي عام 1525 كهرطقة (الفصل 10 و 15)

ث - الفرنسيّسكانيّ فرنسيسكو بردينوس Francescus BERDINUS قال بأنّ عودة الموارنة إلى الكنيسة الكاثوليكية حصلت في زمان البابا لاون العاشر عام 1515 (الفصل 15)

ج - كارلو جيانجولينو Carlo GIANCOLINO ذكر في كتابه عن "الفردوس الأرضي"، الفصل 78، أنّ اتّحاد الموارنة مع الكنيسة الكاثوليكية حصل خلال مجمع فلورنسا عام 1439 (الفصل الحادي عشر).

ح - أورازيو جيوستينياني Orazio GIUSTINIANI يذكر المجمع نفسه، ويضيف أيضاً، "المجمع اللاتراني عام 1442 (والأصحّ أنّ قرار الاتّحاد جرى عام 1445) (الفصل 12).

خ - مرقس اللشبوني من رهبان الفرنسيّسكان، أسقف أوبورتو (Oporto) المتوفّى عام 1591. ذكر في "الجزء الثالث من مؤلّفه" بأنّ اتّحاد الموارنة جاء نتيجة النشاط الرسوليّ الذي قام به الأخ غريغون Gryphon عام 1450 (الفصل الثالث عشر)

د - القديس أنطونيوس أسقف مدينة فلورنسا، المتوفّى عام 1459، في كتابه عن الحوليّات والتواريخ وكذلك مؤرّخ الرهينة اليسوعيّة في المقدّمة الأولى للكتاب الثاني عن التاريخ يتّهمان الموارنة بارتكاب أخطاء عديدة، حاول في ما بعد جان باتيست إليانو اليسوعي J.B. ELIANO ردّعهما عنها (الفصل 16).

ذ - كميلو فانوتشي Camillo FANUCCI، مؤلّف كتاب عن روما عام 1601 يصف الموارنة، الذين بنى لهم البابا غريغوريوس الثالث عشر مدرسة في روما، بأنّهم مسيحيّون، ولكن منشقّون خارجون عن طاعة الكنيسة " (الفصل 17).

أمّا الفصل الأخير فقد كتبه البطريرك ضدّ الرهبان الفرنسيّسكان في الأراضي المقدّسة، بسبب أعمال "الليّنة" التي يمارسونها بين المسيحيّين الشرقيّين.

ويعارض الدويهي كذلك مصدره الرئيسيّ جبرائيل ابن القلاعي، عندما يدّعي هذا الأخير أنّ بطريركاً مارونياً اسمه لوقا انجرف وراء الأضاليل الأبوليناريّة. وقد انتقده لأنّ بطريركاً يحمل هذا الاسم لم يعرف له وجود في تاريخ الموارنة (الفصل التاسع)؛ كذلك يدحض النظرية القائلة بأنّ جبرائيل ابن القلاعي هو الذي مهّد السبيل للاتّحاد (الفصل الرابع عشر). ولكنّ الدويهي يذكر أيضاً اسم لوقا البهنرانيّ كبطريرك للموارنة خلف دانيال الحدشيتي سنة 1282 حيث يقول إنّ "تغلّب على البطريركيّة"، ومعنى ذلك أنّه استولى عليها بالقوّة دون أن يكون إيمانه كإيمان الموارنة.

المخطوطات والمطبوعات

أ- مخطوطات:

1. فاتيكاني عربي 684 و 685: هذان المخطوطان فقدتا من المكتبة الفاتيكانية .
2. فاتيكاني سرياني 395 (كرشوني) ورقة 50 ظ- 154 ظ.
3. بيروت المكتبة الشرقية، 784، II.
4. عشقوت، 36، (II كرشوني).
5. سباط، الفهرس، 1432.
6. غوسطا، مكتبة المرسلين اللبنانيين، 13، ورقة 104 إلى نهاية المخطوط.
7. بكركي 44 (سابقاً) و 107 (حالياً) وهو بخطّ الدويهي نفسه.
8. باريس سرياني 217، ورقة 1-ج-15 ج. هذا المخطوط هو نسخة عن مخطوط فاتيكاني سرياني – كاتبه هو إسطفان الدويهي، أسقف البترون، ابن شقيق البطريرك، سنة 1728.

9. هر هريا 30 عدد 1: "المحاماة وردّ التهم". نُسخ في 13 شباط 1843، بقلم أحد تلامذة مار عبدا عن نسخة أصلها جرمانوس فرحات.
10. ذكر رشيد الشرتوني في مقدّمة "منارة الأقداس" الجزء الأوّل، ص 15، بأنّ بطرس مبارك ترجم كتاب "ردّ التهم" إلى اللاتينية. وهو يقابل فاتيكان لاتيني 7411 وعنوانه باللاتينية "Vindiciae Nationis Maronitarum...": ولقد نشره الأبّاتي بطرس فهد، سنة 1974، 7-94.

ب- المطبوعات :

1. نشره رشيد الشرتوني في الجزء الثاني من كتابه "تاريخ الطائفة المارونية" ص 292 – 466 .
2. أوردت "المشرق" 21 (1923) ص 23 أنّ لكتاب "ردّ التهم" ... نسخاً في دير بقلوش وفي دير فيطرون.